مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 12 / العـدد: 01 (2026)، ص 1032- 1057

الانحلال الأخلاقي وانهيار الحضارات: دراسة مقارنة بين ابن خلدون و شبنجلر

Moral Decay and the Collapse of Civilizations: A Comparative Study of Ibn Khaldun and Spengler

إبراهيم بن عمار*

[1] جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)، ibrahim.benammar@univ-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/24 تاريخ القبول: 2025/12/08 تاريخ النشر: 2026/06/05

ملخص:

تبحث هذه الدراسة وجهة نظر كلٍّ من ابن خلدون-ممثل الفكر الإسلامي الكلاسيكي-وشبنجلر-ممثل الفكر الغربي الحديث- حول العلاقة بين انحلال الأخلاق وانهيار الحضارات. وتهدف إلى استكشاف أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفكّرين حول طبيعة هذه العلاقة. وبالنظر إلى طبيعة هذه الدراسة، فقد تم اعتماد المنهج الوصفي المقارن الذي يُعَدّ الأنسب لدراسة المفاهيم والنظريات الفكرية في سياقات مختلفة. وخلصت الدراسة إلى نتيجة عامة مفادها أن كلاً من ابن خلدون وشبنجلر رأى أن هناك علاقة طردية بين الأخلاق والحضارات؛ فالأخلاق، وفق طرحهما، تُعَدّ عاملًا مهمًا وأساسيًا في قيام الدول والحضارات، وفي الوقت نفسه تمثّل أحد عوامل انهيارها. فالأخلاق الحميدة الفاضلة تمثل دعامة أساسية في نشوء الحضارات ورسوخها، وعلى العكس من ذلك، فإن الأخلاق الذميمة وأخلاق الشر التي يتصف بها مجتمعٌ ما تُعَدّ سببًا في تهالكه وضعفه وانهياره.

كلمات مفتاحية: الأخلاق، الحضارة، الانهيار الحضاري ، ابن خلدون، شبنجلر.

Abstract:

This study examines the perspectives of both Ibn Khaldun -representing classical Islamic thought- and Spengler -representing modern Western thought- regarding the relationship between moral decline and the collapse of civilizations. It aims to explore the points of agreement and disagreement between the two thinkers concerning the nature of this relationship. Given the nature of the study, the comparative descriptive method has been adopted, as it is the most suitable for examining intellectual concepts and theories in different contexts. The study concludes with a general finding that both Ibn Khaldun and Spengler believed there is a direct relationship between morality and civilizations. According

to their views, morality is an essential and fundamental factor in the rise and establishment of states and civilizations, while at the same time it can also be a factor in their collapse. Virtuous and noble morals constitute a fundamental pillar in the formation and stability of civilizations, whereas immoral and corrupt values within a society are considered a cause of its deterioration, weakness, and eventual downfall.

Keywords: Morality, Civilization, Civilizational Collapse, Ibn Khaldun, Spengler.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

يعد موضوع الحضارة من بين المواضيع التي استقطبت اهتمام الفلاسفة والمفكرين قديما وحديثا، وقد تمخض عن هذا الاهتمام بروز مفاهيم وتصورات ونظريات متعددة، خاصة فيما يتعلق بنشوء الحضارات وصيرورتها، ضعفها وانهيارها.

يعتبر ابن خلدون من المفكرين والفلاسفة العرب المسلمين و الرواد الأوائل في مجال توظيف البعد القيمي المعياري الى جانب البعد المادي عند دراسته للمجتمعات، وخاصة فيما يتعلق بمظاهر قيام وانهيار الحضارات واعطاء أهمية وأولوية لموضوع الأخلاق في ذلك. وقد بحث ابن خلدون هذا كله من خلال نظرية التداول الحضارية أو الدورة الحضارية.

إن تحديات العصر الراهن وما تمر به الحضارة الغربية على مستوى واقع المنظومة الاخلاقية، دفع البعض من المفكرين الغربيين، مثل اسولد شبنجلر، الى بحث موضوع الاخلاق و تبيان علاقته بقيام الحضارات وانهيارها في اطار نظرية الدورة الحضارية .

وإذا كان قيام الحضارة يتطلب جهدا ووقتا ووعيا من قبل أفراد تلك الحضارة، فان انهيارها يحدث وفقا لعوامل وأسباب قد يغفل أبناء الحضارة الواحدة عن الشعور بها. لذلك تعتبر مرحلة الانحطاط - وهي محور دراستنا - من بين أسوء المراحل التي يمكن أن تقابلها أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات.

تطرح هذه الدراسة الاشكالية التالية:

ما هي أجه الاتفاق والاختلاف بين تصور كل من ابن خلدون وشبنجلر للعلاقة بين انحلال الاخلاق وانهيار الحضارات؟

وبصيغة أخرى: هل يوجد علاقة بين انحلال الاخلاق وانهيار الحضارات وفق تصور كل من ابن خلدون وشبنجلر؟ وما فيما تتمثل أوجه الاتفاق والاختلاف بين تصور كلاهما؟

تندرج ضمن هذه الاشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو المعنى الذي أعطاه كل من ابن خلدون وشبنجلر لمصطلح الحضارة؟ هل الحضارة هي الشيء نفسه عند كليهما؟ وما فحوى نظرية الدورة الحضارية لكلاهما؟
- ماهي طبيعة الدورة الحضارية عند كلاهما؟
- ما هو مصير الحضارات؟
- ما هي علاقة الانحلال الاخلاقي بانهيار الحضارت؟
- فيما تتمثل مظاهر الاخلاق الدالة على الانهيار؟

إن هذه الدراسة ذات أهمية علمية وعملية، فأما من الناحية العلمية فإنه وفي مرحلة ما بعد الوضعية خرجت دعوات شديدة اللهجة لإعادة النظر في واقع العلم وفق ما كانت تراه الوضعية، والتي مما تجاهلته: الاهتمام بمجالات الفلسفة والاجتماع والتاريخ، إلى جانب تماديها في إقصاء القيم و تأكيدها على علم بدون القيم. كما أنها أعطت الأولوية للأبعاد المادية فقط دون الاهتمام ولو نسبيا بالأبعاد المعيارية القيمية، خاصة في تحليلها للظواهر الاجتماعية. ومن هنا جاءت الحاجة الى استنطاق أفكار كل من ابن خلدون وشبنجلر وتبيان اهمية فكرهما للتموضع في سياق الجدل الحالي لحالة العلم.

وأما من الناحية الواقعية العملية فان واقع المجتمع الغربي -الأوروبي والأمريكي- اليوم يُظهر حالة من الانحلال والتفسخ الأخلاقي، رغم ما وصلوا إليه من تطور مادي باهر. وهذا الواقع أثار قلق العديد من الباحثين الغربيين الذين دقوا ناقوس الخطر وأكدوا على ضرورة تدارك حالة الانحلال هذه. هذا، وواقع المجتمعات العربية والاسلامية ليس بأحسن

حال منهم، فمجتمعاتنا تعرف حالة الانحلال ولو بنسبة أقل مما هي عليه في الغرب. إنها حالة مرضية تعيشها أغلب مجتمعات العالم اليوم نتيجة لانتشار أفكار وقيم الغرب في العالم بفضل وسائل الاعلام والتكنولوجيا المعاصرة. ومن هنا جاءت الحاجة الى بحث موضوع الانحلال الاخلاقي وعلاقته بانهيار الدول والحضارات في فكر كل من ابن خلدون وشبنجلر .

يمكن القول أن الاضافة التي يمكن أن يقدمها موضوع هذه الدراسة، والتي ركزت على العلاقة بين الانحلال الأخلاقي بانهيار الحضارات وفق منظور كل من ابن خلدون وشبنجلر، تكمن في الاثر الذي ستتركه في المجتمعات الغربية والعربية على السواء. فهي تنبه إلى ضرورة عدم الاستهانة بالانحلال الاخلاقي في مجتمعاتنا في الوقت المعاصر، وتدعوا الى الاسراع في اصلاح منظومتنا الأخلاقية وممارساتنا وفق هذه المنظومة لعلنا أن نتدارك الوضع قبل فوات الأوان. إن كل من ابن خلدون وشبنجلر –وغيرهم من الباحثين كثير- قد أكدوا على وجود علاقة طردية بين الانحلال الأخلاق وانهيار الحضارات، ووصلا إلى نتيجة مفادها: كلما انحلت الاخلاق وضعفت القيم زاد ذلك من ضعف الحضارة وأدى الى انهيارها.

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أجه الاتفاق والاختلاف بين تصور كل من ابن خلدون وشبنجلر للعلاقة بين انحلال الاخلاق وانهيار الحضارات.

وبالنظر إلى طبيعة هدف الدراسة فقد **تم اعتماد المنهج الوصفي المقارن**. والذي تتمثل وظيفته في استخلاص أوجه الاتفاق والاختلاف بين ابن خلدون وشبنجلر فيما يتصل بعلاقة الانحلال الأخلاقي بانهيار الحضارات، وذلك من خلال تحليل نصوصهما الأساسية ومقارنتها وفق محاور محددة.

إن اجابتنا عن تساؤلاتنا هذه سيكون من خلال المحاور التالية :

- مفهوم الحضارة وطبيعة دورتها عند ابن خلدون و شبنجلر
- علاقة الانحلال الأخلاقي بانهيار الحضارات عند ابن خلدون و شبنجلر
- نقاط التوافق و الاختلاف بين ابن خلدون و شبنجلر

2. مفهوم الحضارة وطبيعة دورتها عند كل من ابن خلدون و شبنجلر

التعريف بابن خلدون (732-808 هـ/ 1332-1406م): هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، اسمه الفعلي "عبد الرحمن"، واسم والد "محمد"، أما تلقيبه بابن خلدون فكان نسبة إلى أحد أجداده القدماء "خالد" المعروف بخلدون. واشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) الذي طبع في سبعة مجلدات اولها (المقدمة). ويمكن عرض حياة ابن خلدون في أربعة مراحل: الأولى، مرحلة النشأة والتحصيل العلمي (من 732-751) في تونس، حفظ فيها القرآن، ودرس اللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي، ثم درس الفلسفة والمنطق فيما بعد. والثانية، مرحلة تولي الوظائف السياسية (751-776) والتي قضاها متنقلا بين بلاد المغرب الادنى والاوسط والاقصى و بلاد الاندلس. والثالثة، مرحلة التفرغ للتأليف (776-784) والتي قضى نصفها الأول في قلعة بني سلامة ونصفها الأخير في تونس، وفيها أتم تأليف كتابه العبر. وأما الرابعة والأخيرة، مراحل وظائف التدريس والقضاء (783-808) والتي قضاها كلها في مصر.(ابن خلدون، ص12-21)

التعريف باسوالد شبنجلر oswald spengler (1880-1936): ولد في مايو 1880 في مدينة بلانكنبورغ في شمال المانيا، وهو يدين بالمسيحية البروتستانتية . تلقى دراسته الثانوية في مدرسة "هلة". في الطور الجامعي قضى سنة في ميونيخ، وأخرى في برلين، ثم عاد لجامعة هال لإكمال أطروحة الدكتوراه. وفي الجامعات الثلاثة، درس اليونان وروما القديمة، والرياضيات والعلوم الطبيعية. وفي 1911 انتقل إلى ميونيخ وأقام في سكن بالقرب من الجامعة، وتفرغ للتأمل والكتابة، ولم يعد للتدريس مرة أخرى إلى أن توفي عام 1936(براندر، 2016، ص126-127). من أشهر مؤلفاته كتابه "تدهور الغرب"، واصل الكتاب باللغة الالمانية der untergang des abendlandes. اما بقية مؤلفاته فهي مجموعة من المقالات والمحاضرات، منها: البناء الجديد للرايخ الالماني، السنوات الحاسمة، ألمانيا وتطور التاريخ العالمي (اسوالد، 1964، ص9).

1.2 مفهوم الحضارة وطبيعة دورتها عند ابن خلدون: اطلق ابن خلدون مصطلح الحضارة ويقصد به حالة من التطور التي يصل اليها تجتمع بشري ما. فوفق ما يرى فان المجتمع في أوله بداوة لينتقل في مسار تطوره الى الحضارة، والتي هي نهاية العمران.

والحضارة كما يعرفها ابن خلدون - في كتابه (المقدمة)- هي "التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلَف بالصنائع التي تُؤنِّق من أصنافه وسائر فنونه، كالصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفَرشِ أو الآنية، ولسائر أحوال المنزل"(ابن خلدون، ص407). الحضارة هي المرحلة التي تلي مرحلة البداوة والتي يعرفها أي تجمع بشري خلال مسار تطوره. في الحضارة يصل المجتمع إلى مستوى متقدم من الترف الذي يتجسد في سلوكيات ومظاهر معينة يعيشها الانسان الحضري والتي لم يعهدها في مرحلة البداوة.

ومظاهر الحضارة هذه بالنسبة الى ابن خلدون هي "أحوال عادية زائدة على الضروريِّ من أحوال العمران"(ابن خلدون، ص404). فأحوال الحضارة ومظاهرها كماليات يكون الانسان قادر عن الاستغناء والعيش من دونها. هي مظاهر زائدة عن الضروري، ذلك الضروري الذي كانت حياة الانسان البدوي تقوم عليه.

وبما ان الحضارة، بما تشتمل عليه من مظاهر، زائدة عن الضروري فإنها وفق رأي ابن خلدون عين الفساد، فهي مؤشر على "نهاية العمران وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر والبعد عن الخير"(ابن خلدون، ص 152)

هذا، ويؤكد ابن خلدون أن وصول التجمع البشري إلى طور الحضارة المكتملة، بتجليات مظاهر الفساد والشر فيه والتي يعيشها أهل الحضر من أصحاب السلطان والرعية معا، مرتبط أساسا برسوخ الدولة وحصول الملك وزيادة الترف. وفي ذلك يقول" فطور الدولة من أولها بداوة، ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال، فترف الملك هو البدايات الأولى لتجلى مظاهر اكتمال الحضارة ...لان كمال الحضارة إنما تكون عند نهاية الدولة في استفحالها"(ابن خلدون، ص203).

إذن، فالحضارة عند ابن خلدون هي وصف لـ:

• زمنيا: المرحلة الأخيرة لتطور الدولة التي تكون قد ترسخت فعلا، والتي هي من أولها بداوة.

• من حيث ركيزة تماسك الدولة ورسوخها: حالة تفكك العصبية-التي كانت الاساس في قيام الدولة- بعد ان يحقق الملك غايته وتترسخ الدولة.

• من حيث أحوال الدولة والمجتمع: ظهور اتساع للأحوال و حصول الترف في الدولة، وهي أحوال زائدة على الضروري من أحوال العمران. إذن هي الخروج من حالة الصلاح إلى حالة الفساد، ومن الخير إلى الشر.

الدورة الحضارية عند ابن خلدون: يعتبر ابن خلدون، الذي سبق غيره من الغربيين، من المفكرين الأوائل القائلين بالنظرية الدورية للحضارات، ويتضح لنا ذلك من خلال نظريته في تفسير حركة الحضارات والتي تقوم وفق رأيه على التعاقب الدوري. فهو يرى أن للعمران البشري (الاجتماع البشري) زمن محدد كما للأشخاص ذلك، فلكل تجمع بشري بداية ونهاية، حياة وموت، قوة وضعف، قيام وانهيار. والانهيار كان مآل كل حضارة من الحضارات التي شهدها تاريخ العالم وسيكون مآل الحضارة الغربية الحالية وفق هذه النظرية، ومآل أي حضارة ستظهر في المستقبل.

وحسب ابن خلدون فان العمران البشري من بداوة وحضارة له عمر محدد ينتهي العمران بنهاية ذلك العمر، مثله في ذلك مثل عمر الانسان تماما، من الطفولة الى الشباب الى الكهولة فالشيخوخة، لينتهي بوفاة ذلك الانسان(ابن خلدون، ص 407).

الدولة في الغالب لا تعدوا أعمار ثلاثة أجيال حسب تقدير ابن خلدون، والأجيال الثلاثة هي: جيل البداوة وهم الذين "لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها "، وجيل الحضارة الذين "حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف "، وجيل الترف الذي تسقط فيه الدولة ففيه" ينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن وينقدون حلاوة العزة والعصبية"(ابن خلدون، ص201-202). جيل العمران البدوي أصل للعمران الحضري حسب ابن خلدون، ولكل من المجتمعين البدوي والحضري ألوان من العادات والسلوكيات وأنماط في الحياة تميز كلاهما. فهي في المجتمع الحضري أكثر قابلية للتطور الذي يؤدي إلى

قمة العمران، وهي في نفس الوقت أكثر قابلية للفساد والشر -نتيجة الترف الذي يحصل لأهل الحضر-. فمن عهد البداوة إلى عهد الحضارة وقمة العمران، ومن القوة إلى ضعف الدولة ونهاية العمران عموما.

يرى ابن خلدون الحضارات ليست في معزل عن بعضها البعض من حيث التأثِير والتأثُر، سواء الحضارات التي تتزامن وجوديا أو الحضارات التي تخلف سابقاتها المنهارة، فكل حضارة يمكن أن تُأثر في غيرها، وفي نفس الوقت تتأثر بغيرها. إن أي حضارة تأخذ بعضًا من أفكار وعادات وممارسات سابقتها وتستخدمها للنهوض بذاتها مع المحافظة على خصائصها الأصيلة التي ستميزها عن غيرها، وفي ذلك يقول "وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جيلهم ". ويضيف -مبينا هذه الفكرة- قائلا " وأهل الدول أبدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدول السابقة قبلها، فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون"(ابن خلدون، ص203).

يؤكد ابن خلدون أن الانهيار أمر حتمي لقيته كل الحضارات الفائتة وستلقاه الحضارة الغربية الحالية والحضارة التي سيكتب لها القيام مستقبلا، فالانهيار قانون طبيعي. إن "الهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دوائها ولا ارتفاعها؛ لما أنه طبيعي، والامور الطبيعية لا تتبدل".(ابن خلدون، ص 327).

ينبه ابن خلدون الى مسألتين مهمة في حتمية الانهيار وبعض المظاهر التي قد تحدث مع أهل الحضارة في نهاية عمر دولتهم وحضارتهم، والتي قد تُفهم أو تُدرَك بطريقة مغلوطة. أولهما: إن الهرم والانهيار أمر واقع لا امكانية من تفاديه حتى لو اجتهد الجميع -من مفكرين وساسة- في ذلك، لان الأمر خارج عن نطاق امكانياتهم. فالأمر كله يتعلق بالعوائد، وهي السلوكيات التي تعود عليها من قبلهم والتي تقود الى الانهيار الحتمي. وأما ثانيهما: قد يتجلى للعيان في نهاية عمر الدولة، مظهر قوة يعتقد البعض أنه حالة من تجدد وانبعاث يمكن أن يُتدارك به هرم وضعف دولتهم، ولكن الأمر غير ذلك. حيث أوضح يقول "وربما يحدث عند

آخر عمر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إماضة الخلود، كما يقع في الذبال المشتعل، فانه عند مقاربة انطفاءه يومض ايماضة توهم أنها اشتعال، وهي انطفاء"(ابن خلدون، ص327-328).

إن طرح ابن خلدون حول حتمية السقوط والانهيار الحضاري توحي بنظرته التشاؤمية، فهو ينفي تماما إمكانية انسان الحضارة الآيلة إلى الانهيار من الاصلاح والتعديل وتدارك الوضع ما قد يمكن لتلك الحضارة من القيام مجددا على يد أبناءها.

2.2 مفهوم الحضارة وطبيعة دورتها عند شبنجلر: شبنجلر في كتابه (تدهور الغرب) وقف عند مفهومين أساسيين هما الثقافة والحضارة، وقد اعتبرهما مرحلتين متتالية -مرحلة الثقافة ثم مرحلة الحضارة- عرفتهما كل حضارة من حضارات العالم منذ بزوغها وإلى انهيارها، بما في ذلك الحضارة الغربية الحالية التي هي محل دراسته.

وظف شبنجلر مصطلحي الثقافة culture والحضارة civilisation وأعطاهما تعريفين مختلفين، وقد استخدمهما لتحديد مراحل مختلفة من تطور مجتمع انساني. اعتبر أن مرحلة الثقافة هي فترة نمو المجتمع، وفترة نشاطه الابداعي. وأما الحضارة فهي الفترة المتأخرة والنهائية للمجتمع، الذي عاش أو عرف مرحلة الثقافة، إنها فترة ضعف ذلك المجتمع وتراجعه. مرحلة الثقافة هي مرحلة الانجاز، أما مرحلة الحضارة ففيها تكتمل انجازات الثقافة نظريا، انها مرحلة تجريب الاشياء واتمامها وانجازها قبل الانهيار والزوال(براندر، 2016، ص167).

مصطلح الحضارة civilisation حسب استعمال شبنجلر هي القدر الحتمي النهائي للمجتمع. فمن حيث الزمن فهي تأتي عقب مرحلة الثقافة، وأما من حيث الواقع المعاش فهي حالة ذلك المجتمع في أكثر مظاهره السطحية والسلبية المصطنعة. فترة الثقافة تنتهي حينما تحقق الثقافة هدفها، لتتصلب فجأة بعد ذلك هذه الثقافة، وتتوقف قواها المبدعة، وتموت الحماسة في الروح التي بها. فالقيم التي تراكمت وحافظت عليها الثقافة وعززتها تبدا في

الانهيار في عصر الحضارة. فلم يعد المجتمع يخلق شيئا، بل يعيد تفسير الاشياء فقط (براندر، 2016، ص174).

يُعرِف شبنجلر الثقافة culture-(والتي ترجمة الى العربية في كتابه (انهيار الغرب) - الذي اعتمدناه- بمصطلح الحضارة، وعليه فإننا سنجد مرحلة الثقافة التي تحدث عنها شبنجلر وقد ترجمت الى مصطلح الحضارة)- بأنها " نفس بلغت التعبير عن ذاتها بأشكال محسوسة ومعقولة لكن هذه الأشكال هي حية متفتحة وولود، ويوجد رحمها في الكينونة المصعدة للأفراد والجماعات ...ليست الحضارة (يعني بها شبنجلر مرحلة الثقافة) شيء عظيما فقط بل أنها بكليتها شيء لا يماثله أي شيء آخر في هذا العالم العضوي، فهي النقطة الواحدة التي يسموا عندها الإنسان بنفسه فوق قوى الطبيعة ويصبح هو نفسه خالقا" (اسوالد، 1964، ص48). إن شبنجلر ينظر إلى الثقافة باعتبارها وحدة حياة تشمل الفن والسياسة والعلم والاقتصاد والدين والأخلاق. فالثقافة تتجسد مظاهرها في القوة والعطاء والإبداع الأخاذ والايجابي الذي ينبعث من حركة وعمل إنسان مجتمع ما. ثم تأتي مرحلة الحضارة حيث يتوقف فيها العطاء ولم يعد المجتمع قادر على ابداع شيء جديد.

يرى شبنجلر ان لكل حضارة خصائصها التي تميزها عن غيرها، فكل حضارة "تطبع مادتها وجنسها البشري وصورتها الخاصة بطابعها، ولكل واحدة من هذه الحضارات فكرتها وعواطفها وانفعالاتها الخاصة وارادتها وشعورها وموتها الخاص بها"(اسوالد، 1964، ص68). فالمجتمعات في مراحل حياتها من الثقافة الى الحضارة يكون لكل منها خصائصها المميزة لها، والتي تصبغها بطابع خاص يميزها تمام تمايز عن خصائص غيرها من الحضارات الأخرى. واضافة الى هذا فإنها لا تُأثر ولا تتأثر بالمجتمعات الأخرى، سواء المتزامنة وجوديا مع بعضها البعض أو التي تقوم إثر انهيار غيرها. اذن، فلا تشابه أو تماثل بين خصائص الحضارات، ولا تأثر ولا تأثير فيما بينها.

الدورة الحضارية عند شبنجلر: كيف فهم شبنجلر تاريخ العالم؟

حينما ننظر الى الفكر الفلسفي التاريخي الغربي يمكن اعتبار شبنجلر قمة تحول واضح في هذا الفكر، من التفاؤل بدرجاته المتفاوتة الى التشاؤم الكلي بواقع ومستقبل الحضارة الغربية (مؤنس، 1978، ص299). يمكن القول ان فكرة التقدم العلمي والتفاؤل بدأت مع عصر الانوار وترسخ المركزية الغربي (مركزية الذات)، غير أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت قد أنتجت نوعا من التراجع لهذه الفكرة(مؤنس، 1978،ص300)، فقد بدأ الرأي القائل بالتقدم وروح التفاؤل عند الغرب يتراجع مقابل بروز آراء تنكر تقدم الغرب إلى غير نهاية وتشيع فكرة الانهيار والافول.

كان المفكرون في عصر الانوار يرون أن لمسار الحضارة خطا واحدا، يبدأ عند اليونان وينتهي بحضارة الغرب، مارا بالرومان والمرحلة المسيحية. وكان شبنجلر من أوائل من رفضوا هذا الرأي(مؤنس،1978، ص305). رفض الخط المستقيم للتاريخ واستعاض عن التسلسل التاريخي بالمقارنة، اذ وضع جنبا إلى جنب تاريخا شاملا للثقافات (الحضارات) الثمانية الرفيعة التي اختار دراستها(براندر،2016، ص135).

إن الأوروبيين والغربيين في دراستهم لحضارتهم فانهم يدرسون الحضارات الاخرى – كالعربية الاسلامية مثلا- باعتبارها هوامش أو بوصفها مادة اضافية ملحقة تساعد في دراسة الحضارة المركزية. أنكر شبنجلر منهج الأوروبيين هذا وصرح قائلا" انني لأرى في مكان ذلك الاختلاق لتاريخ واحد ضيق كالخط ... دراما تتألف من عدد من حضارات جبارة، تنبجس كل حضارة منها بقوة بدائية من تربة الاقليم الأم حيث تبقى مشدودة إليه برسوخ وثبات طيلة دورة حياتها"(اسوالد، 1964، ص68)، وعليه فإن لكل حضارة "تاريخ مستقل قائم بذاته ومساو في قيمته"(اسوالد، 1964، ص62). ان شبنجلر يرى أن تاريخ العالم هو مجموعة من الحضارات المستقلة في الوجود والمختلفة في الخصائص والمتساوية في القيمة.

إن تاريخ العالم عبارة على مجموعة من الحضارات وفق ما يطرح شبنجلر، وهذه في حركة دورية تتبع أطوارا ومراحل معينة في دورة حياة ثابتة ومتوقعة. ان الحضارات تشبه

حياة الكائن الحي أو العضوي (ويطلق عليها النظرية العضوية). فالحضارة لها طفولتها وشبابها وشيخوختها، تحيا ثم موت، تقوم وتطور ثم تتدهور وتنهار. كما يمكننا حسب شبنجلر تمثيل دورة الحضارة بأدوار السنة، فلكل حضارة ربيعها وصيفها وخريفها وشتائها(اسوالد، 1964، ص103). ومتوسط العمر الطبيعي المتوقع للحضارة ألف سنة، ومع ذلك فان هذا العمر قد يتفاوت بدرجة كبيرة، مثلما قد تزيد أو تقل حياة البشر عن سبعين سنة (براندر، 2016، ص137).

هذا، ويرى شبنجلر أن الحضارة تموت عندما تحقق روحها جميع إمكاناتها الباطنية على هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون وعلوم ودول. وعندما تحقق الحضارة هذه الأمور وتستنزف إمكانات روحها في تجسيد هذه الانجازات تتخشب وتتحول إلى "مدينة"civilisation (اسوالد،1964، ص12). في المدينة تنتشر علامات السقوط والموت، لذا فهي تمثل نهاية المطاف للحضارة، إنها المصير المحتوم الذي لابد لكل حضارة من بلوغه، ولا يمكن للإرادة الإنسانية الوقوف أمام تحقيقها(اسوالد، 1964، ص87)، وأخيرا تُتجاوز المدينة إلى الفناء والانهيار.

إن الحضارة من سماتها الإبداع وروح التفوق والسعي للأسمى من الغايات، لكن هذه الروح ما تلبث أن يغيب وميضها نتيجة استنزاف الحضارة لكامل طاقاتها وبلوغها أسمى غايتها، وفي مرحلة المدينة عوض التقدم إلى الأحسن والأفضل تبدأ عملية النكوص والتراجع إلى الأسواء الى ان تنحل وتنهار الحضارة كليتا.

بالنسبة الى شبنجلر فان بلوغ الحضارة مرحلة المدينة هو أمر حتمي، فكل حضارة ستبلغ هذه المرحلة الأخير بتجليات مظاهر السلبية فيها. والسؤال هنا: هل يمكن لإنسان ان يتدارك ويصلح لينهض بحضارته من جديد؟ هل هنالك احتمالية للنجاح في الاصلاح وتدارك التعثر في مرحلة المدينة اذا ما اجتهد انسان في ذلك؟

يعتقد شبنجلر بالقدرية والحتمية في تفسيره لدورة حياة الحضارة. فالحضارة لا محال سينتهي بها الحال إلى الزوال والانهيار. وهو لا يرى أملا البتة في إمكانية وقدرة إنسان

المدينة على فعل شيء لتدارك الضعف والانحطاط واكتساب عوامل القوة من جديد، بل يؤكد أن الحضارة إذا ما انتهى حالها إلى الانهيار، فلا قدر لها إلى أن تتكرر على أيدي أبناءها من جديد(اسوالد،1964، ص17).

في صميم حديثه عن حتمية الانهيار وبعض المظاهر التي قد تحدث مع إنسان المدينة وفي مرحلة المدينة ينبه شبنجلر إلى مسألتين مهمتين. أولهما: إن الزوال والانهيار أمر واقع لا إمكانية من تفاديه حتى لو اجتهد انسان المدينة في ذلك، لان ذلك خارج عن نطاق امكانياته. قد تظهر محاولات تقليدية عرضية في أثناء فترة المدينة لانعاش قيم وأنماط وروح مرحلة الحضارة السابقة، لكنها، وللأسف، جميعها محاولات عقيمة (براندر، 2016، ص188). أما ثانيهما: رغم تأكيد شبنجلر على أن مصير الحضارات إلى وانهيار، غير أنه يرى أن فقدان الحضارة لروحها بتحقيق جميع إمكانياتها لا يعني فناءها نهائيا، بل تظل قادرة على البقاء ربما لقرون (بدوي، 1982، ص103). وجهة نظر شبنجلر الحتمية عن المستقبل ظلت ثابتة، فالحياة العضوية للحضارة ثابتة، مثل حياة نبات أو شخص، ولن يتأثر انهيارها بالإصلاح والتعديل الذي قد يجتهد انسان المدينة في القيام به.

أما بالنسبة إلى الحضارة الغربية والتي هي موضوع بحثه الذي قدمه في كتابه (انهيار الغرب)، فان شينجلر يرى أن الحضارة الغربية قد بدأت في القرن العاشر ميلادي وقد انقضى معظم عمرها حتى القرن التاسع عشر، على اعتبار ان عمر اي حضارة ألف سنة. كان ربيع حياتها في العصور الوسطى المتأخرة، وكان صيفها عصر النهضة والاصلاح الديني، وخريفها عصر الانوار، وهي الآن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في صميم شتاءها (مؤنس، 1978، ص307).

وحسب شبنجلر فإن المرحلة التي دخلت فيها الحضارة الغربية إلى مرحلة المدينة وهي تمثل شتاء هذه الحضارة، قد ابتدأت من القرن التاسع عشر ميلادي وهي مازالت مستمرة إلى غاية 2200م، ويقول شبنجلر أن ظروف المدينة سوف تبدأ هذ الحضارة بمعاناته ابتداء

من العام 2000م تقريبا (اسوالد،1964، ص603)، ثم يكون مصيرها المحتوم الى الزوال والانهيار كما انهارت الحضارات السابقة.

ان اعتقاد واقرار شبنجلر بحتمية السقوط والانهيار الحضاري توحي بنظرته التشاؤمية، وهذا يستشف من خلال ما أكده في الفكرة التي تقوم على النفي التام لإمكانية إنسان الحضارة الآيلة إلى الانهيار من الاصلاح والتعديل وتدارك الوضع ما قد يمكن لتلك الحضارة من القيام مجددا.

3. علاقة الانحلال الأخلاقي بانهيار الحضارات عند ابن خلدون و شبنجلر

ان كل من ابن خلدون وشبنجلر قد أكدا ان سقوط الحضارات أمر حتمي- كما تم تبيانه آنفا- من منظور نظرة تشاؤمية في إطار ما يعرف بنظرية التداول الحضاري. انهيار حضارة ما امر حتمي ولا امكانية لقيامها على يدي ابناءها من جديد. مثلما انهارت الحضارات السابقة كالمصرية والهندية والعربية الاسلامية ستنهار حتما الحضارة الغربية المعاصرة وفق تنبؤات شبنجلر. وحسب وجهة رأي المفكرين فان الانهيار الحضاري يحصل نتيجة عدة عوامل. وهنا نتساؤل : هل يعتبر انحلال القيم الاخلاقية عامل من عوامل انهيار الحضارات عند كل من ابن خلدون وشبنجلر؟

1.3 الانحلال الأخلاقي كعامل للانهيار الحضاري في طرح شبنجلر: وفق ما ذكرنا آنفا، يرى شبنجلر ان تاريخ العالم هو عبارة عن مجموعة من الحضارات قامت وتطورت ثم انهارت، وان هذه المجتمعات في دورة حياتها تنتقل من مرحلة الثقافة(النمو والتطور والازدهار) بخصائصها الايجابية التي تميزها الى مرحلة المدينة (مرحلة اكتمال النمو) وخصائصها السلبية التي تميزها. والانهيار وفق ما طرح شبنجلر امر حتمي لجميع الحضارات ولا امكانية للقيام من جديد، وهذا سيكون حال الحضارة الغربية الحالية والتي عاصرها شبنجلر في حياته وتنبأ بانهيارها المحتوم.

على اعتبار ان المدينة (civilisation الحضارة) هي المرحلة الاخيرة لتطور أي تجمع بشري -الذي انتقل من الثقافة الى الحضارة-، فان شبلنجر قد تساؤل ما هي المدينة؟ وحاول

ان يعرض مظاهرها. وإن ما طرحه عن حياة المدينة ومظاهرها السلبية هي نفسها العوامل التي يرى بأنها سبب في انهيار الحضارات.

يرى شبنجلر ان انهيار الحضارات بما فيها الحضارة الغربية الحالية –والآيلة الى الانهيار- يرجع إلى عدة عوامل مجتمعة بما فيها عامل الانحلال الأخلاقي. ونورد هنا أهم تلك العوامل:

-المال باعتباره المثال الأعلى للمدينة: في المدينة يصبح المال المثال الأعلى والنموذج الأسمى، لأن "كل فكرة يراد لها أن تتحقق يجب أن توضع في حدود المال ووفق أعرافه"(اسوالد،1964، ص734). ان التفكير سكان المدينة بهذه الطريقة والتي يتم النظر فيها إلى المال باعتباره غاية بل غاية الغايات وليس وسيلة لبلوغ غايات اسمة له انعكاسات جمة. إذ أن اعتبار المال غاية يهدر كل اثر للشعور نحو القيم المشدودة إلى الأرض(اسوالد، 1964، ص533)، ويقصد بها القيم الأخلاقية التي عرفها إنسان مرحلة الثقافة. اذن يصبح المال من كونه وسيلة لتحقيق غايات أسمى إلى كونه غاية الغايات ومعيار للحكم على كل شيء تطاله يد أو عين انسان المدينة.

-الاستعمار باعتباره رمزا مميزا للمدينة: إن الاستعمار هو الرمز المميز لاحتضار المدينة (في الغرب) وموتها. فالنزعة إلى التوسع (وسلطة القوة) هي بمثابة القضاء والقدر ، ومفعولها أشبه ما يكون بمفعول سحر خارق يطبق بقبضتيه على جماهير الجنس البشري المتأخر زمنيا من سكان المدن العالمية ويسخرها لخدمته مختارة أم مرغمة، واعية أم غير واعية(شبنجلر، 1964، ص97).

-انتشار الروح العلمية وسيادة العقل: لقد أنكر شبنجلر موقف معاصريه الذين افتتنوا بدور العقل -نتيجة التقدم المادي الذي وصلوا إلية- وزعمهم أنه أساس كل تقدم وتطور وابتكار. ورأى أن هذا العقل هو نفسه الذي سيقود الغرب إلى الدمار والهلاك (مؤنس، 1978، ص304). هذا، ويؤكد أن النقد العلمي يكون سلبيا إذا ما استخدم في مراجعة الدين،

لأنه بذلك يقضي على كل بقية من ورع أو تقوى ديني لدى إنسان المدينة. (اسوالد ،1964، ص533) .

-انتشار المذاهب اللادينية: يرى شبنجلر ان الدين ذو اهمية بالغة لقيام الامم والحضارات، وغيابه سبب وجيه في ضعفها وانهيارها. فمرحلة الثقافة جوهرها وركيزتها الدين وأما مرحلة المدينة فجوهرها اللادين (اسوالد،1946، ص614). ويُرجع شبنجلر حالة اللادين في مرحلة المدينة إلى إيمان إنسان المدينة بالعقل القادر على كل شيء، بما في ذلك قدرة عقله على فهم علل الأشياء وتخطي التفسيرات الدينية.(اسوالد،1964، ص451.)

-انحلال القيم الاخلاقية: يرى شبنجلر أن المدينة تتصف بعدائها غير المفهوم للتقاليد والمثل العليا التي كانت تتمتع بها في مرحلة الثقافة(اسوالد،1964، ص91-93). ويلاحظ أن هنالك فرق واضح وتغير جلي في الأخلاق بين مرحلة الثقافة ومرحلة المدينة، ويَرجع السبب في ذلك، وفق رأيه، إلى أن الأخلاق في مرحلة الثقافة كانت تُشكل جزءًا من الثقافة العامة، إذ كانت متشابكة مع الدين والمجتمع (نظريا يمثل فكر "كانت" هذه المرحلة في اطار الجدل القائم في فلسفة الأخلاق). وفي مرحلة المدينة تتغير الأنظمة الأخلاقية و تبدأ بالتعامل مع مشاكل أكثر واقعية مثل مشاكل الاقتصاد والغذاء والنوع البشري (الجندر) والسياسة (نظريا يمثل فكر "ستوارت مل" هذه المرحلة). والملاحظ في هذه المرحلة هو أنه لم يعد هنالك بنية أخلاقية كثيفة كما كانت عليه في مرحلة الثقافة(Baardewijk, 2023, p49).

هذا، واعتبر شبنجلر التحول من ثقافة إلى مرحلة المدينة انفصالاً عن حياة الوجود الأكثر جوهرية، إذ يغلب على المجتمع نوع من العدمية الثقافية الدينية(Baardewijk, 2023, p49).

ان غياب الدين في مرحلة المدينة والاهتمام بالمادية المفرط وجعل المال غاية وليس وسيلة، سينعكس بالضرورة على الاخلاق التي ستتغير تبعا لذلك. فأخلاق مرحلة الثقافة ليس نفسها أخلاق مرحلة المدينة.

ما يمكن أن يساعدنا في فهم تحليل موقف شبنجلر من الأخلاق وتغيرها من مرحلة الى أخرى، هو الوقوف عند ما ذكره بخصوص فلسفة كل من امانيول كانت وجون ستوارت ميل. اعتبر شبنجلر أن فلسفة كانت تمثل مرحلة الثقافة، بينما تمثل فلسفة ميل مرحلة المدينة. فاخلاق الثقافة نفهمها من خلال فلسفة كانت، في حين أن أخلاق المدينة تفهم من خلال فلسفة ميل.

يزعم كانط أن الإنسان حر في الأساس، ولكنه يحتاج أيضاً إلى النضال داخل نفسه، والعمل ضد احتياجاته المتأصلة وشهواته الدنيا. ويتطلب تحقيق الحرية الحقيقية اتباع الأمر المطلق من منطلق الواجب (يجب علي وانا ملزم بالوقوف عنده) وتجاهل هذه الاحتياجات والشهوات. بينما يضيع هذا الصراع الداخلي في مرحلة المدينة، حيث تصبح الأخلاق أكثر براجماتية وتواجه المعضلات في الحياة الواقعية، وكنتيجة يجد الانسان نفسه امام تقديم تنازلات على مستوى الثوابت الأخلاقية. بينما لم يفكر كانط بجدية في إمكانية مواجهة معضلة أخلاقية وتقديم تنازلات، لأن أخلاقياته واضحة المعالم، ولا ينبغي للمرء أن يتبعها إلا من خلال قوة الإرادة(Baardewijk, 2023, p50).

يقبل ميل عدم اكتمال الحياة إلى حد كبير ويصوغ نظرية يمكن من خلالها قياس الخير والشر. لقد "نسي" ميل العلاقة والوحدة بين الدين والأخلاق، وهو في سعيه إلى التأمل في مستجدات ومشاكل الحياة الواقعية(Baardewijk, 2023, p50). وقدم لنظريته النفعية في الاخلاق والتي ترى أن الفعل يكون صواباً بقدر الذي يحقق اكبر قدر من السعادة ويقلل من الألم، حيث تُعرّف السعادة بأنها تحقق اللذة وغياب الألم، وتُعد النفعية أخلاقاً اجتماعية لا دينية تهدف لتحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

وكما ذكرنا آنفاً، هناك أيضاً اختلاف جوهري يتمثل في أن ميل يتقبل الحياة بتعقيداتها، وهو أخلاقي متحضر، يستخدم مخططاً اقتصادياً نفعياً للحجج، في حين يظل كانط متمسكاً بالمبادئ والثقافة في توجهه نحو حسن النية والأمر المطلق، ولا يسمح بأي تنازلات أخلاقية(Baardewijk, 2023, p51).

اذن، يمكننا القول أن تغير الأخلاق في مرحلة المدينة وفقا لشبنجلر يرجع إلى عدة أسباب، نذكر منها: 1- الابتعاد عن الدين الذي كان يعتبر مصدرا مهما للأخلاق، 2-تقديس العقل حيث أصبح مصدرا رئيسيا للأخلاق، 3-مستجدات الحياة وضرورة مواكبتها بأخلاق جديدة.

بما ان مصدر القيم الاخلاقية جلها من الدين، وعليه فان الابتعاد عن الدين كما هو حاصل في المدينة هو ابتعاد عن القيم الاخلاقية ذات المصدر الديني الثابتة والمستقرة. وبما أن العقل هو القائد لإنسان المدينة فانه سيصبح مصدر لتحديد القيم الاخلاقية الفاضلة، وعقل الانسان ناقص ومعلول شيء ما، وهذا ما سيقوده الى استحداث او تشريع واختراع اخلاق معلولة وناقصة. وبما ان الانسان كثير الاهواء فان هواه لن يستقر على ما استحدث وسوغ لنفسه من سلوكياتها باعتبارها أخلاقية، ما يجعل تلك الاخلاق عرضت للتغير وعدم الثبات كما كانت عليه في الثقافة، لان ثبات المصدر يقود الى ثبات القيم الصادرة عنه.

في مرحلة المدينة نشهد استحداث اخلاق جديدة (اخلاق فاسدة منحلة غير فاضلة) لمواجهة مستجدات الحياة، بما فيها الاقتصادية وتطور أهمية المال في الحياة، والسياسية والاجتماعية. وفي الوقت نفسه نشهد تقديم تنازلات على مستوى الاخلاق المتعارف والمتفق عليها كما كانت عليه في مرحلة الثقافة. وهذا كله سيقود الى الانهيار بحسب ما يؤكد شبنجلر.

2.3 الانحلال الأخلاقي كعامل للانهيار الحضاري عند ابن خلدون: يؤكد ابن خلدون أن انهيار الحضارات والأمم أمر حتمي، ولا امكانية لإنسان الحضارة الآيلة إلى الزوال من تفاديه. والانهيار لا يكون إلا نتيجة لاجتماع مجموعة من العوامل (أو العوارض كما يسمها) والتي تحصل في الحضارة آخر ايامها وتقود الى انهيارها.

يرى ابن خلدون ان استحكام الملك لأهل العصبية يقتضي؛ الانفراد بالمجد دون غيرهم ممن كانوا سببا في ذلك من أهل عصبيتهم وظلمهم لهم؛ ويقتضي أيضا حصول

الترف؛ وكذلك حصول الدعة التي هي القصور عن الفعل والحركة التي عرفتها الدولة في أيامها الأولى -أيام قيامها-(ابن خلدون، ص 199-200). واذا حصل ذلك كله أقبلت الدولة على الانهيار.

وفي توضيحه لمسالة الترف -الذي هو كثرة المال الزائد عن الضروري- وتأثيره السلبي على أصحاب السلطان، يؤكد ابن خلدون أن الترف في أهل الملك والسلطان يُذهب عنهم الأخلاق الحميدة وأخلاق الخير-التي كانت في الأساس دعامة لقيام ملكهم-، ويطبع فيهم الاخلاق الذميمة وأخلاق الشر(ابن خلدون، ص 199-200).

اذن، فتبدل وتغير أخلاق أهل الملك والسلطان من الحميدة إلى الذميمة، وفق ابن خلدون، سببه حياة الترف التي حصلت لهم في طور الحضارة. وحصول أخلاق الشر التي كانت نتيجة لحصول الترف ستقود بالضرورة الدولة إلى التهالك والانهيار .

وفي موضع آخر يبين ابن خلدون أهمية الأخلاق لأهل العصبية في حصول الملك لهم وزواله من بيد أيديهم، فالأخلاق الحميدة سمت اتصف بها أهل العصبية وكانت دعامة ساهم في حصول الملك لهم دون سواهم. والأخلاق الذميمة سمت أهل الملك في نهاية ملكهم، وسبب في خروج الملك من أيديهم إلى غير رجعة.(ابن خلدون، ص 172-173)

وفق ما يرى ابن خلدون فان الترف سبب في فساد أخلاق أهل الحضر عامة، وليس أهل السلطان والملك فقط. وقد بين ذلك من خلال مقارنة أهل البدو بأهل الحضر (من حصلت لهم الحضارة). فأهل الحضري بانتقالهم من حياة البداوة وبساطتها إلى حياة الحضر وتعقيداتها، وحصول الترف وتغير العادات نتيجة لذلك، والسعي وراء المال وتحصيله واشباع الانسان الحضري لشهواته. هذا كله سيقود إلى تلون النفس بمذمومات الأخلاق وشرها. وذلك على غير ما كانت عليه في حياة البدو(ابن خلدون، ص152).

في طور الحضارة نشهد انغماس الحضر في الشهوات بأنواعها وحتى التباهي والجهر بها وكذا التفنن في تلبيتها، وذلك كله من مفاسد الحضارة، ففي طور الحضارة ومن أهل الحضر " ... يقع التفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ والمشارب وطيبها. ويتبع ذلك التفنن

في شهوات الفرج بأنواع المناكح، من الزنا واللواط...". وإذا كثر ذلك مدينة أو أمة تأذن الله بخرابها وانقراضها(ابن خلدون، ص408-409).

ما يعني أن الانتقال من حال معيشية بسيطة إلى حال أخرى في الحضارة من تجارة وصناعة وكثرة المال والطمع في الحصول عليه وزيادته، ينتج تغيراً في الأخلاق. فمن الكرم إلى البخل ومن الشجاعة إلى الدعة والسكون ومن الحشمة إلى الجهر والتفنن والتظاهر بالفواحش ومن الروح الجماعية إلى الفردية والأنانية.

يقول ابن خلدون " أن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد، لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضارّه واستقامة خلقه للسعي في ذلك" (ابن خلدون، ص410). واذا لم يكن الانسان على خلق حميد في جلبه لمنافعه ودفعه لمضاره فهو إلى الدواب أقرب، حيث تقوده شهواته الى فعل ما يشبعها، والاشباع النفس لن يحص، ومع الوقت إلى أن ترديه أرضا فلا يقوم بعدها أبدا. وبالنتيجة وعلى عموم المجتمع والأمة فإن الجميع إلى تهالك وانهيار.

ان الظلم كما يرى ابن خلدون مؤذن بخراب العمران، وانه عامل من عوامل انهيار الحضارة، وهو يحصل من اهل القدرة (رجال الدولة)، والظلم على أحوال عدة منها؛ اغتصاب أموال الناس بغير حق؛ و الحكم في الناس بغير ما أنزل الله. ويرجع ابن خلدون سبب ظلم أهل السلطان إلى حصول الترف وجمع المال والسعي وراء زيادته ما يزيد من مساحة الدولة وتوسع نطاقها الجغرافي. وإن ذلك كله سينعكس سلبا على الدولة بخراب العمران. وحال الدولة على ذلك إلى ان تنهار تماما (ابن خلدون، ص324).

الظلم من اسبابه الرغبة في انفراد السلطان بالمُلك من غير أهل عصبيته، وحصول الترف والحاجة الى زيادته. الترف سبب في فساد أخلاق الراعي والرعية معا، فمع زيادة الترف في الامة يزيد ظلم السلطان لرعيته ويزيد ظلم الرعية على بعضهم البعض، لان كل ذلك يحصل في سبيل الحصول على المال والسعي في انماءه.

بناء على ما سبق، يمكن القول أن عوامل انهيار الحضارات وفق ما طرح ابن خلدون ثلاث، و هي على ارتباط مع بعضها البعض من حيث التأثير والتأثر، أولها: الترف المادي والاستجادة في طلبه، والذي ينعكس سلبا على أهل الحضر وتطبعهم بالأخلاق الذميمة الدنيئة، ثانيها: الظلم، فالترف يدفع للتطبع بالأخلاق السيئة وهما سببان مباشر لظلم الملوك لشعوبهم، فسعيهم الحثيث إلى جمع الكثير من المال والاستمتاع به وتقوية وتمكين وتوسيع سلطانهم و الذود عنه وحمايته يدفعهم إلى أخذ ما عند غيرهم بغير وجه حق، فيكثر نتيجة ذلك الهرج والمرج من مجاعات وعدوان وقتل، ثالثها: الانحلال الأخلاقي، فابن خلدون في تحليله للعوارض المؤذنة بالهرم فصل بدقة متناهية مظاهر الانحلال الأخلاقي التي تعيشها الحضارة، وبين السبب وراء حصولها، والذي ارجعه الى حصول الترف. وأكد أن استفحال ظاهرة الانحلال هذه في واقع مجتمع او أمة من الأمم هو إيذان صريح بهلاك وفناء تلك الأمة.

4. نقاط التو افق و الاختلاف بين طرح كل من ابن خلدون و شبنجلر:

إن من يقرأ أدبيات مفكرين قراءة مقارنة لا بد ان يلحظ في الغالب موضع لنقاط يتوافقان وأخرى يختلفان فيهما، وهذا ما شهدناه من خلال مقارنتنا بين ابن خلدون وشبنجلر. بعدما تطرقنا في قراءة تحليلية لطرحيهما حول: المفهوم المعطى للحضارة، وطبيعة الدورة الحضارية، وأهم العوامل المؤدية لانهيار الحضارات بما في ذلك ابراز اهمية الانحلال الاخلاقي باعتباره عامل مهم من عوامل الانهيار، نعرض هنا لأهم نقاط التوافق والاختلاف.

1.4 نقاط التو افق:

- إن المفهوم المعطى للحضارة بين ابن خلدون وشبنجلر متوافق، فشبنجلر يرى مرحلة الثقافة هي في أساسها مظاهر للتطور والنمو والإبداع أما مرحلة التدهور بالنسبة له فتتجسد في طور "المدينة" civilisation ،كمرحلة تالية لمرحلة الثقافة، والتي تنتهي بالأفول والانهيار. أما ابن خلدون فمظاهر الانحطاط و التدهور ملازمة للحضارة بعدما تصل الى اوج عطائها ،فهي بالنسبة إلى العمران نهايته وغايته، حيث عرفها بأنها التفنن في الترف واستجادة

أحواله كما سبق تبيانه. فالحضارة كما بينها ابن خلدون يقابلها مرحلة المدينة civilisation (تترجم الى العربية بالحضارة) حسب طرح شبنجلر.

- إن نظرية الدورة الحضارية التي يتحدث عنها شبنجلر قد نجد معالمها في نظرية الدورة الحضارية لابن خلدون، الذي يكون قد سبق شبنجلر بأربعة قرون.

-يؤكد شبنجلر على حتمية الانهيار لأي حضارة من الحضارات بما فيها الحضارة الغربية الحالية، مثله في ذلك مثل ابن خلدون الذي قال بحتمية الانهيار، لأنه ووفقا لقانون الدورة الحضارية وحتمية الانهيار فان الحضارة الغربية الى زوال.

- يرى شبنجلر أن إمكانية تدارك الضعف والانهيار والقيام من جديد لأي حضارة قد انهارت أمر غير ممكن، فالمدينة تمثل مرحلة الفناء الذي لا قيام بعده. شانه في ذلك شأن ابن خلدون الذي يرى أن الاستجابة الإبداعية تصل إلى ذروتها ثم تتوقف، عندما تجف ينابيعها، أي أن انهيار الحضارة أمر حتمي لا مفر منه، وكل محاولات الاصلاح عقيمة ولا فائدة منها. لان قيام الحضارة من جديد وعلى يد أبناءها أمر غير ممكن الحدوث.

- إن كل من ابن خلدون شبنجلر لم يقدموا حلولا، بل اقتصر تحليلهم لواقع الحضارة التي تعيش حالة من التهالك المؤدية إلى الانهيار، ودون اي محاولة لتقديم العلاج و عرض الحلول لمشاكل تلك الحالة التي تعيشها الحضارة، وإخراجها من حالتها إلى حالة أحسن تمكنها من تدارك العجز إلى القوة من الجديد (مثل ما قدمه توينبي في نظرية التحدي والاستجابة). ولعل السبب وراء ذلك راجع الى اعتقادهما بفكرة حتمية الانهيار واستحالة القيام من جديد لأي حضارة تشارف على السقوط، ما ميز نظرتهما بروح التشاؤم.

- أكد كلا المفكرين على حتمية انهيار الحضارات وعرضا أهم الاسباب المؤدية الى ذلك، مجملة في فكرة تغليب الجانب المادي على حساب الجانب الديني والقيمي المعنوي، فابن خلدون أوضح عوامل ثلاث حددها في الترف المادي وهو ما يتطرق اليه شبنجلر في عنصر المال وسلبياته. كما أوضح ابن خلدون مسألة ظلم السلطان وجوره على الرعية وهو ما حدده شبنجلر بالتوسع واستعمار الغربي على الشعوب. وإلى جانب هذين السببين أكد ابن خلدون

على الانحلال الأخلاقي للمجتمع باعتباره من عوامل الانهيار، وهذا الذي اكده شبنجلر بالتعرض الى التغير في الأخلاق التي يعرفها انسان المدينة.

- إن تحليلات ابن خلدون حول طبيعة الدورة الحضارية وحتمية انهيار الحضارات والاسباب التي حددها والتي توافق إلى حد كبير مع ما طرحه شبنجلر كما بيناه في النقطة السابقة، يجعلنا نؤكد أهمية الطرح الخلدوني وقدرته على المعاصرة، وذلك من حيث أن تطبيق العوامل المؤدية إلى الانهيار على الحضارة الغربية، وفق ما يقدمه شبنجلر، يؤكد مصداقية الطرح وموضوعيته وعمق تحليلاته. إن المعاين لحال الحضارة الغربية الراهن وما تعيشه من أزمة طغيان الجانب المادي وكثرة المال (الترف) -وهو زائد عن الحاجة حسب ابن خلدون-، والذي أثر بشكل كبير على عوائد البشر وغير أخلاقهم التي أصبحت أكثر تفسخا وانحلالا.

2.4 نقاط الاختلاف:

- تختلف المرجعية العقدية الفكرية لكلا المفكرين، فشبنجلر يدين بالمسيحية وقد عاش في القرن العشرين الميلادي، أما ابن خلدون فهو يدين بالإسلام وقد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، ما يعني أن لكل منهما نظرته الخاصة للإنسان و الكون والحياة وذلك في إطار النسق المعرفي المختلف – الذي يكون كنتيجة له الاختلاف في المفاهيم والنماذج والنظريات- بين شبنجلر الذي ينتمي للنسق المعرفي الغربي وابن الخلدون الذي ينتمي للنسق المعرفي الاسلامي.

- عند ابن خلدون كل حضارة تأخذ بعضا من الجوانب المادية او المعنوية لسابقتها أو المتزامنة معها وتستخدمها من وفق ما تمليه خصوصيتها الذاتية، أما شبنجلر فينكر ذلك ويقول بخصوصية مكونات وركائز كل حضارة عن غيرها، كون الحضارات كيانات منفصلة عن بعضها البعض.

- إن تحليل ابن خلدون للانحلال الأخلاقي واعتباره من عوامل انهيار الحضارة كان تحليلا شاملا ودقيقا، غير أن شبنجلر لم يعرض لهذا العامل بنفس الشمول والدقة كما فعل ابن خلدون. ان الناظر في طرح ابن خلدون في هذا الجانب و الملاحظ العيني لواقع الأخلاق في

الحضارة الغربية خاصة مع بداية الالفية الثانية، فانه سيدهش فعلا. وكأني بابن خلدون يحلل واقع الأخلاق وما آلة إليه من مظاهر الانحلال والتفسخ وهو يشاهد واقع الحضارة الغربية أمام عينيه –رغم أنه عاش في القرن الرابع عشر -، فكل ما ذكره ابن خلدون من مظاهر الانحلال الأخلاقي والبعد عن الفضائل نلمحه في المجتمعات الغربية اليوم- وحتى في مجتمعاتنا العربية الاسلامية وان كان بشيء أقل حدة-. إن ما يزيد طرح ابن خلدون قيمة ويعطي تنبؤاته صدقا هو القلق الذي أصبح ينتاب الكثير من المفكرين والفلاسفة الغربين المعاصرين جراء مرارة الواقع الأخلاقي المنحل والفاسد التي وصلت إليه مجتمعاتهم. هذا الواقع المريع الذي ينخر جسد الحضارة الغربية ويهشم عظامها.

لنتأكد كاستنتاج لتحليلاتنا أن طرح ابن خلدون معاصر بكل معنى الكلمة في نظريته وتحليلاته، فهو يلتقي في نقاط تشارك كبيرة مع مفكرين غربيين معاصرين أمثال شبلنجر - كما تم تبيانه-. وهذه الفكرة يؤكدها لاكوست في كتابه (العلامة ابن خلدون) اذ يقول:" إن ابن خلدون في سيره التاريخي يفكر ويستدل كعالم حديث، فالقضايا التي يطرحها هي أساسا تلك التي نكتشفها اليوم، والأسباب التي يستخدمها تشكل قسما كبيرا مما نلاحظه في وقتنا الراهن"(لاكوست، 1978، ص238).

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

يتفق كل من ابن خلدون وشبنجلر على الطابع الدوري للحضارات. فحسب ابن خلدون فإن لكل تجمع بشري بداية ونهاية، قوة وضعف، قيام و تطور وازدهار ثم انهيار وأفول. فعمر الحضارة مثل عمر الانسان تماما، من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة فالشيخوخة، لينتهي بوفاة ذلك الانسان. ومن جانبه شبه شبنجلر حياة الحضارات بحياة الكائن الحي أو العضوي، فالحضارة لها طفولتها وشبابها وشيخوختها. تحيا ثم تموت، تقوم وتطور ثم تتدهور وتنهار.

كما يتفقان أيضا في حتمية انهيار الحضارات، وعدم امكانية القيام من جديد. إذ يعتقد شبنجلر بالحتمية في تفسيره لدورة حياة الحضارة. فإنسان المدينة ليس له القدرة على فعل شيء لتدارك الضعف والانحطاط. فالحضارة لا قدر لها إلى أن تتكرر على أيدي أبناءها من جديد. ومن جانبه يؤكد ابن خلدون ان الانهيار قانون طبيعي، فالهرم والانهيار أمر واقع لا مكانية لتفاديه.

هذا ويؤكد كلا الباحثين ان الانحلال الاخلاقي من العوامل التي تقود الى انهيار الحضارات. فحسب شبنجلر فان تغير الاخلاق في مرحلة الحضارة عما كانت عليه في مرحلة الثقافة راجع الى: 1- الابتعاد عن الدين الذي كان يعتبر مصدرا مهما للأخلاق الفاضلة، 2- تقديس العقل حيث أصبح مصدرا رئيسيا للأخلاق، 3-المادية ومستجدات الحياة في مرحلة المدينة وضرورة مواكبتها بأخلاق جديدة.

ومن جانبه يرجع ابن خلدون تغير أخلاق السلطان والرعية معا إلى حياة الترف التي حصلت لهم في طور الحضارة. لان السعي وراء المال وتحصيله واشباع الانسان الحضري لشهواته سيقود إلى تلون النفس بالأخلاق المذمومة.

وإلى جانب نقاط الاتفاق هذه، إلا ان المفكرين يختلفان في نقاط أخرى. يرى ابن خلدون أن الحضارات ليست في معزل عن بعضها البعض من حيث التأثِير والتأثُر، فكل حضارة يمكن أن تُأثر في غيرها، وفي نفس الوقت تتأثر بغيرها. أما شبنجلر فيقول عكس ذلك ويؤكد على خصوصية وتفرد كل حضارة عن غيرها من الحضارات، واعتبر ان الحضارات كيانات منفصلة لا تتأثر ببعضها البعض. وفي تناولهما لعامل الأخلاق فقد جاء تقديم ابن خلدون لمظاهر الانحلال الدالة على الانهيار أكثر شمولا ودقة مقارنة بما عرضه شبنجلر.

قائمة المراجع:

- ابن خلدون، عبد الرحمن،(د.ت)، المقدمة، بيروت، دار الارقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

- ازوالـد، شـبينجلر، (1964)، تـدهور الحضـارة الغربيـة، ترجمـة احمـد الشـيباني، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

- ب.ج. براندر، (2016)، رؤية الفوضي استطلاعات عن انحسار الحضارة الغربية، ترجمة هاشم أحمد محمد، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

- بدوي، عبد الرحمن، (1982)، اشبنجلر، الكويت، وكالة المطبوعات الكويتية.

- لاكوست، إيف، (1978)، العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، بيروت، دار ابن خلدون للطباعة والنشر.

- مؤنس حسين، (1978)، الحضارة دراسة في الأصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.

Jelle van Baardewijk, (2023), A Copernican Revolution in Ethics: Oswald - Spengler's Cultural Ethics and their Contemporary Relevance, The Philosophical .Journal of Conflict and Violence, Vol. VII, Issue 1